


النهار الأخير
شعر
د. ماجد الحيدر



النهار الأخير

شـعر

د. ماجد الحيدر

مقدمـة

أنتَ إذن سـليمـانٌ جـديد

تكلِّمُ النملَ والطير

تحدّثُ الكلابَ الشاردة تحت المطـرْ

وتحاور العشــب الذي نمــا

بين أحجـار الطرقات

لكنك حيـنَ تختلي بنفسـك أخيــرا

حين ترنو اليهــا

باحـثاً عمّـا تواسـيها به

تفر منك الكلمـات

وتضيع اللغة

لا ....

لا لغـــــة !

النهــار الأخـير

نهـارٌ أخـيرٌ ..

وتُسـدلُ هـذي السـتارةْ

وقبـل الرحـيلِ

سـيسـخرُ منّـي الزمـانُ

ويلطـمني فـي عيـوني

ويجـدعُ أنفـي

لأنـي سـأرحلُ صِـفرَ اليـدينِ

لأنـي سـأرحلُ .. لاسـعفـةٌ أو إشـارة

إلى الأرض يا صـاحِبَـيَّ نعـود

إلى الطـينِ والمـاءِ والغَبَـشِ السـرمدي

فهـل سـنفكـرُ في أغنيـاتٍ جـديدة

أم سـوفَ نقعـي .. ونعـى الـزمان

...

أيـا صـاحبي .. حـانَ وقـتُ الـرحيلِ

فخـذ نفسـاً من دخـانكَ

خـذ نفسـاً ..

مـن هـوائكَ هـذا المـدججِّ بالعهــر وامـضِ ..

فقـد لـوَّحتْ فـي البـروقِ البشـارةْ !

قصـيدة الغـروب

نهـارٌ طـويلٌ يمـرُّ وأنتِ بعيـدة

مثل الطـفولةِ والذكـرياتِ القديمـةِ .. أنتِ بعيـدة

وانتِ قريـبةْ .. قريـبةْ

كَـهَمّـي ، كـأُغنيـتي الشـاجِـنِة .

...

حلـمتُ بكِ اللـيلةَ البـارحة :

وحيـدَينِ كـنّا ..

وكـانَ المسـاءُ يلَـملِـمُ أنجـمَهُ الشـاردات

دعـوتُكِ للـرقصِ / أعـرفُ أنـي نسـيتُ خطـايَ

ولكـنني آنـذاكْ

أردتُ ذراعـيَّ أن تحتَـويكِ

أردتـُكِ قـربي

تنـامينَ في رئتـي .. لصـقَ قـلبي

لـم تسـتَجيـبي ..

شـاحبةً كـنتِ فـي الحُـلمِ

لـم تـرفضـي ، ولـم تسـتجيبي .

قُـلتِ :

صـديقُكَ قـد أخـرجوهُ من القـبو.. ثم ضـحكتِ !

وكـانَ لضحكـتكِ الغـامضة

صـدىً مـوجِعاً .. كالأنـينْ

هـل كـنتِ تبكـينَ .. أم تضحكـينْ ؟

تمـزَّقتُ / أيقظـني صـوتُ غـولُ السـماءِ

فقـلتُ لنفسـي : الشـتاءُ ابتـدا !

وأنصـتُّ :

زقـزقـةٌ .. وأنيـنُ انفجـارٍ بعيـدْ !

أتدرينَ سـيدة الإنتظـار

لقـد كـنتُ أهـربُ للحـُلمِ

حيـن يعـودُ المسـاءُ البلـيدُ

ولكـنني الآنَ تُهـت

فصـحوي ، ونـومي عـذابٌ .. ومـوتٌ

ورعشـةُ خـوفٍ ، وأشـلاءُ ضـوءْ !

....

......

الشـتاءُ ابتـدا بـاكـراً

وغـروبٌ بلـون الدمـاء الصـريخةِ

يطـوي المـدى والأغـاني القتـيلةَ والأمـنيات

هلـمّـي إذن وتعـالَي .. تعـالي

أقـاسـمْكِ مـائدتـي والبكـاءَ ..

وشـمـعتيَ الـراجفــة !

شـــــعراء

فــي غـُـرَفٍ باردةٍ ، معتمةٍ

تحــتَ الأرضْ

نقـراُ في صـوتٍ مكتـومٍ

أشعـارَ أحبَّـتِـنا الرحــلوا

ونـنـقِّحُ دونَ حمـاسٍ..

ثانـيةً .. ثالثــةً .. ألفــا

بعـضَ قصـائدِنا المخبـوءةَ في كهفِ الذكــرى

ونرتِّـــبـُها ..

نحـلمُ أن نُخـرجَـها يوماً للنـورْ.

نتــثاءبُ / نصحــو

نـرجِعُها لصــناديقِ الأجــدادِ ونُقـفِلـُها

نخـرجُ للشـــارعِ مرتبكــينَ حيــارى

نلبَــسُ أقنــعةَ الذِلـــةِ

ونمـثِّـلُ أدوارَ الحمقــى

نخشـــى أنْ يكتشـــفوا ....

أنــّا شعـــراءْ ...!

قطـار الجنـود

الرصـيفُ انتهـى ..

واختفـى شــبحٌ للمديـنةِ ظـلَّ يطـاردني في

العشــايا

وابتـدا القفـرُ ..

وانفتحـتْ في الصـدور قفـارُ التذكّـر مشـرعةً...

ثمِـلٌ راحَ يبكـي

وجنـودٌ يغنـّونَ أغنيـةً عـن حبيـبٍ طـريدْ :

" ولَكْ يا ريـل لا تصـرَخْ "

" ولَك يا ريـل لا تصـرَخْ !! "

....

إبتـدا القفـرُ فيـنا ..

أذعَنَـتْ صُحبَتـي لعـواءِ الكـآبةِ

ثـمّ بكـى صـاحبي إذْ رأى الـدربَ

ثـمّ ارعـوى ..

ثـمَّ أغفـى كـما الطـفلُ فـوقَ ذراعـي ...

....

إنـهُ الفجـرُ يا صـاحبي .. هـل تنـامْ ؟!

والقطـارُ يمـارسُ لعبتـهُ الـدائريـةَ :

يُسـكـرنا .. ثـم ينكـأُ منـا الجـراحَ القديمـةَ

يمسـحُ دمعتـنا ... ثم يُصعِدُ زفـرتهُ في الدجـى

ويفـزّزُ قلبـاً غفـا ...واستَكـانْ .

إنـهُ الفجـرُ يا صـاحبي .. لا تَنـَمْ !

وتعـالَ لنشــربَ ..

نخـبَ ترحّـلنا المســتديم !

هـذَيـانْ

يـا أيهـا النـومُ الخبيـثُ الهـاربْ

يـا أيهـا المشــاغبْ

عُـدتَ الـى المكـرِ إذَنْ

كـدَيدَنِ العقـارب !؟

***

حـديقـةً من الأقـاحِ كـنتُ / يا للـزمنِ الفسـيـح !

إذ صـدرُ أُمـي لـمْ يَـزَلْ

وخبـزُها..

ودمعـةٌ فـي خـدها تســيحْ

يا سـيدي .. يا أيهـا المسـيحْ

آسٍ جـراحَ روحي الحبيسـةْ .. وصبـريَ الكسـيحْ !

***

كـعادةِ الملـوكِ إذْ يفلسـفونَ حـُمقهـمْ

أفلسـفُ الضجـرْ

وعقـمَ نفسـي .. وخـوائي

وسكـوني .. كـالحجـرْ !

***

بـي ظمـأٌ لخفقـةٍ من فـرحِ

بـي ظمـأٌ لصـرخةٍ تمـزّقُ الأحشـاءْ

بـي ظمـأٌ للنـومْ .. !

فلـتَرفعـوا ، يا سـادتي ، هـنيهـةً ...

عـن جسـدي السـياط !

الـواحُ إنليـل
رؤيـا كاتبٌ من نفّـر

<u>اللـوح الأول :</u>

أتسـامرُ هذي الليلةَ مع إنليل
كـان دعاني من قَبلُ فمـا لبَّـيْت
كـنتُ كـسولاً أو خجِـلاً – لا أدري ...
الليـلةَ سـاقوني عِـبرَ سـماءٍ مقفِـرةٍ
نحـوَ المَلَكـوتِ الأسـمى
أدخلَـني مَـلَكٌ / شـرطيٌّ يحملُ فوقَ جناحَـيهِ
وسـامُ النصرِ على " تَـيْماتَ " إلى البهـو الأعظـمِ
كـانَ هـناكْ ..
يجلـسُ في أقصـى القاعـةِ
فـوقَ العـرشِ الأبَنـوسـيِّ الأسـودِ
أدركَ خـوفي للفـورِ
فأدنـانـي منه وهشَّ وأفرخَ من رَوعـي
فتنفَّـسْـتُ الصُعَداءْ ...

اللـوح الثـاني :

يدعـوني إنليـلُ إلى الشـطرنجِ

ويغلِبُـنـي في يُسـرٍ

أتحـدّاهُ ، فيغلـِبُني ثانيـةً

يضـحكُ منّـي مـلءَ الأشـداقِ ويغمـزني :

أوَمـا تـدري يا ولـدي

أنـي ألعـبُ منـذُ قـرونٍ

ببيـادقَ من بشـرٍ فـانٍ

ومـلوكٍ من ورقٍ

أنفـخُ فيهـم ، وأنَـقِّـلُهُمْ أنّـى شـئتُ

لأُرغـِمَ أنفَ التعسـاءْ ؟!

اللـوح الثـالث :

..يسـألُني إنلـيلُ عن الخَـمر

فأنصَـحُهُ :

لا تكـثِرْ منهـا !

إنـكَ مسـؤولٌ – قد عـُلِّمْـنا – عن هـذي الأكـوانْ
إن تشـربْ لتكـن كـأسـُكَ من قطـنٍ

حتـى إن أزَّتْ فيكَ حـُمـَيّاهـا
ورمَـيتَ بهـا من ضجـَرٍ صـوبَ جمـاجمنا ...
ما كـَسـَرَتـْهـا !

اللـوح الـرابع :
.. يسـألني عن وطـني :
كـيفَ الحـالُ بأرضِ بلادِكَ تلكَ التـُدعى ..
تـُدعى .. آهٍ .. تبـّاً للنسـيانْ !
(يهمـسُ في أذنَـيْهِ ملاكٌ ذو أدَبٍ جَـمٍّ ..)
آهِ .. تذكـّرت !
تلـكَ بـلادُ الشـعراء القـلِقـينَ
وأرضُ النخـلِ ومـأوى النـار
لـمْ أسـمعْ عنكـمْ أخباراً منـذ قـرونْ ..
أ وَمـا زِلـتُم تبنـونَ لأجلـي الزقـورات ؟!

- !! ..

يسـألُني إن كـانوا لليـوم يؤدون فـروضَ الطـاعةِ

والصـلواتِ فأكـذبُ :

- بعضـهُمُ .. كـلّهُمُ يسـتمطـرُ رحمتكـمْ....

....

- كـذّابٌ !

(يصـرخُ رجلٌ في السـتّيـن

يجلـسُ عند يميـنِ العـرشِ

ويرميـني بعيـونٍ تقـدحُ شـرّاً !!

....

يسـكـتُ ، أسـألهُ :

- عـذراً من أنتَ ؟

فلا يسـمعُني

يتحـوّلُ تمثـالاً ثم يـذوبُ كـما الشـمعِ

ولا يتـركُ أثَـرا

يقـرأُ إنلـيلُ بعينـيَّ الدهشـةَ

يأمـرني أن أنسـى المشـهدَ

أرضـخُ ، أحنـي رأسـي في استخـذاءْ !

اللوح الخـامس :

إسـألْنـي شـيئاً قبل رحيـلكَ

أنتَ اللـيلةَ ضـيفي

فاسـأل ما شـئتَ بلا اسـتحياءْ

خـذْ مـالاً ، مُـلكـاً ، حـوراً

آنيـةً من ذهـبٍ ، خمـراً ..

- شـكـراً يا إنليلَ الأعظـمَ

سـامِحْنـي ..

إنـي لا أطـلبُ غيـرَ جـوابٍ

لسـؤالٍ أرَّقَـنـي :

فيـمَ خلَـقتَ عبيـدَكَ ؟

فيـمَ رسـمتهمُ أمـماً ورجـالاً ونسـاءً ؟

أحـراراً وإمـاءْ ؟

فيـمَ تـذلَّ وتـرفعُ ، تعطـي ، تمنـعُ

تُـدني ، تقصـي ، تهـدمُ ، تَبنـي ؟..

إنـي أتسـاءلُ – لا بـرماً ، حاشـا –

عن مغزى الأشـياء !

وتفكّـرَ إنلـيلُ طـويلاً
مسـّدَ لحيـتَـه القدسـيةَ :
يا ولـدي .. أشـجَيتَ فـؤادي
أوقـدتَ بقـلبي نـاراً
غطـَّتها الشـيخوخةُ
تحـتَ رمـادِ التكـرارْ
يا ولـدي إنكَ تسـألُ عن سـرِّ الأسـرار
عـن سـرٍّ لا يعـرفهُ آنـو ، أو أنكـي
سـرٍّ لا يعـرفهُ حتـى من تمثـلُ في
حضـرتهِ
لا يعـرفهُ إنلـيلْ !!   *

الفـارسُ الضـلّيل

في الليـلِ التشـرينيِّ الـداجنِ أسـري

مُـلتَفِعـاً قهـري..

ممتطـياً خيـل الكـلمات الثكـلى

لديـارِ الأوهـام !

القمـرُ الشـاحبُ يسـخرُ منّـي

الـريحُ تعـاكسـني

الأرض تغيّـرُ سـحنتها

ووريقـات الشـجر الصـفرِ

تَـغامَزُ من حـولي

وأنـا فـي هـذا البَـرِ أسـافرُ وحـدي

أسـألُ رهبـاناً لاذوا بالصـمتِ قـروناً

عن أسـرارِ أحـاديثَ تطـاردني

خطّتها عينـاكِ بصـدري

لـمْ يتلقـاها بعـدُ نبـيٌّ

أو يسـمعها بـدويٌّ غيـري !

أغنـيةُ الأربعـين

قـد أقبـلَ المسـاءْ

ولـم أزلْ أُجـرجِرُ الخطـى

في مـوكـبِ الفَـناءْ .

مـودَّعٌ باليُـمنِ يا صِـباي

مـودّعٌ بالآسِ والبَخـورِ والحِنّـاءْ

...

مـا زلـتِ تعبثـينْ

أيتهـا السـاعاتُ والأيّـامْ

مـا زلـتِ تـوغِلـينْ

في السـقمِ والخـواءِ .. في الجنـونْ

مـا زلـتِ يـا مـومِسـةً عـذراءْ

تمضـينَ ، تسـحبين في الشـوارعِ الظـلماءْ

ظـلالَكِ الثـقالْ

كـم كـنتِ تصـرخينْ

تبكـينَ .. تضـحكـينَ .. تهمســينْ

بلعـنةِ الرحـيلْ

كـم كـنتِ تأكـلينَ من ثُـدَيـِّكِ الهـزيلْ

أرغفـةً تُـدافُ بالـدماءْ !

...

أيتهـا الســنونْ

يـا ســربَ خـيلٍ جـامحٍ أفلَـتَ من حظـيرةِ الســماءْ

يـا وجـهَ "ميـدوزا" ويـا شــهقةَ "عشـتَروتْ"

يـا وردةً تخنـقُ مَـن يشـمّها

يـا غيـمةً تُمطِـرُ بالثُـبور

يـا طـفلةً يُـرضـعها الســرابْ

يـا خفقـةَ النســور

يـا مشــانقَ الـدُمى

ويـا ... تثـاؤبَ القبـورْ !

....

صـاحبةَ الحانـةِ ، يـا عـالِمةَ الأســرارْ

مِـن أيـنَ لـي أن أُمسـِكَ النجـومْ ؟

وكـيفَ لـي أن أعبـرَ الجحيـمْ ؟

لأقطـفَ الخلـودَ مِـن حـدائقِ الأربـابْ

وأزرعَ الكـرومَ في مدينتـي ..

وأذرعـي مبتـورةٌ .. شـوهاءْ ؟!

سـيدتي .. أتعبنـي تعـاقبُ الفصـولِ والأسـماءْ

حمـلتُ فـوقَ كـاهلي قناطـرَ الضَـياعْ

حتّـى إذا بلغـتُ أربعيـنْ

نـاديتُ يـا سـماءْ

يـا أرضُ .. يـا أنهـارُ .. يـا تخـومُ .. يـا أحجـارْ

رُدّي إلَـيَّ بعضَ مـا سـلَبتِنـي

أو أنـزلـي السـتار

عـلى فصـولِ اللعبـةِ البلهـاءْ !

محـــاكمة المجنــون

وقالــوا : تكَـيَّـفْ

فهـا قَـد تكـيَّـفَ كـلُّ البـرايــا بأرضِ الحجــازْ

وقـالوا : تَـرَجَـلْ

فهـا قـد تـرجَّـلَ كـلُّ الفـوارسِ واسـتسـلموا ..

للرقــادْ

وقـالوا : تَعـَقَّـلْ

ويِـعْ مثــلما بـاعَ غيـرُكَ قبـلاً

وتـاجِـرْ ، فسـوقُـكَ نـافِـقـةٌ

وربــحُكَ عشـرةُ أضعافِ ما تســتبيحْ

...   ...

تـرَدّدتَ قبـلاً

وأغـرَيتَ خيــرةَ شــبانِنا بالفجــورْ

نثــرْتَ وبـاءَ التمــرّدِ فيـــهمْ

وحطَّـمْتَ ألـواحَ عـزّتِـنا الشـامخـاتْ

فمـاذا حصَـدْتَ

سـوى عـلقَمٍ في شـِفاهِكَ ، أو شـوكةٍ

في العيـونْ ؟

...   ...

وقـالوا : نحـبُّكَ

قـالوا : نـريدُ لكَ العافيــهْ

وقـالوا : سـنَمْـنَحُـكَ الآنَ فـرصـتَكَ السـانيهْ

فبـادر ولَـمْلِـمْ شـتاتَـكَ والـحـَقْ

بأقـرانَـكَ الطيـِّبيـنْ

....

إلامَ المســيرْ

وحتـامَ تمضــي وراءَ الســرابْ ؟

وتهـدرُ خَـيرَ سِـنيَّـكَ في صفـقةٍ خـاسِـره ؟

وفيـمَ تقـاومُ ، تُـتْعِـبَ رأســكَ ، تخســرُ ..

دنيـاكَ والآخــره ؟

...   ...

وقـالوا : تكَـيَّفْ وإلاّ ..!

وقـالوا : تـرجـَّلْ وإلاّ ..!

وقـالوا ، وقـالوا ، وقـالوا ...

مـا ازدَدْتُ إلاّ جنـوناً ..

وحُـباً بِلَـيْـلـى !

حـديـقـةُ الجنــون

حـديقةُ الآثـامِ والجنـونِ والألَـمْ

حـديقةُ النـدَمْ .

حـديقةٌ أشــجارها عجــفاءْ

حـديـقةٌ ثمـارُها أوهـامْ

تـرابُـها .. ومـاؤُها .. سـماؤُها ..أزهـارُها

أغصـانُها ..... هـبــاءْ !

...   .

حـديقةٌ يضـربُ فيـها ألـفُ ألـفِ مـعوَلٍ

مِـنْ أوَّلِ الفجـر إلى قيـامةِ الأشـيـاءْ

لكـنها عقـيمةٌ .. موحِـشــةٌ .. جـرداءٍ

لا نحلــةٌ تدورُ ، لا فراشــةٌ

لا شـاعرٌ يهـيمُ ، لا طيـورْ

لا عاشــقٌ ينتظـرُ اللقــاءْ !

...   ...

حـديقةٌ تسـتَـمطِرُ اللعنـاتْ

حـديقةُ الطـاعونِ والآهـاتْ

حـديقةٌ سيـاجها استَسـلمَ للخـرابْ

حـديقةُ الأشـباحِ واللصـوصْ

حـديقةُ الأوهـامِ والظنـونْ

حـديقةٌ نـاطـورها مجـنونْ

يـضاجـعُ العقـاربَ الصـفراءْ

حـديقـةُ الـدمـاءْ !

تـأكيــد

آهٍ يا دائرةَ " السـقفِ الزمنــيِّ "

لهـذا القـلبِ الراســفِ

في أغلالِ الحـيرةِ والأسـرارْ

كـنتِ وتبقيــنَ

إلى آخـر عـودِ ثقـابٍ مبتـلٍّ أورثَـنيـهِ الأجـدادْ

حـلماً ، كـابوسـاً

أو وعـداً يطـرقُ أبـوابي كـلّ مســاء

سـيدتي المـرتابةَ من قلـقي

مـاذا تقتـرحين على رجـلٍ

يحمل – مثل صـليبٍ –

أســئلةً عن جـدوى الأشـــياء ؟

سيــدتي ..رفقــاً

أعرف أني عبثـاً أقطــعُ أوردتـي

وأغـادر طـوعاً أنهـارَ الخـمر

وأفيـاءَ جنـائنكِ الحبـلى بالســحر

ولكــنْ ..

مــاذا أفعــلُ لقطيــعِ الخيـلِ الهائــجِ

في رأســي

وكــيفَ أُكـالئُ نفســي

حتـى لا أســقطَ في الوحــلِ

وهذا الســقفُ المتآكـلُ

يوشـــكُ أن ينهــارَ ... على رأســـي !؟

الــربّــانُ والبحـــر

الى ألفريد سمعان

ووحيـــداً ...

عادَ الربــانُ الـى الميـناءِ المهجـــورْ .

مُنكَســـِراً ، مخــذولا....

قد سـرَقَ المـــوجُ قصيدتـه الحُبلـــى

واغتــالَ الإعصــارُ الأهـوجُ كـلَّ أمانيــهِ

فحطـَّـمَ أكـؤُســـهُ

ورمــى للبحــرِ بقيثــارتهِ

وطــوى أشـــرعةَ العُــمرِ وعــادْ ..

وحــيداً .... مخـذولا .

....

يجتــازُ الســـور الخشـــبيَّ المتــداعيَ

حــولَ حـديقــتهِ المنســـيّةِ

يدخـــلُ غـرفتــهُ المرميـــّةَ عنــد تخــومِ البحـــرِ

فيــملؤهُ حـزنٌ وحشــيٌّ

وبقـايا عطـرٍ تركَـتْـهُ هنــا ...

في ألـواحِ الجُـدرانْ

يتطــَلَّـعُ :

بضــعُ شــموعٍ مُطفـأةٍ

بــاقةُ آسٍ ذابــلةٌ فـوقَ كتـابٍ

نسِـيَتْ أن تطــويه :

" حبيــبي مـدَّ يـدَيْـهِ من الشـــّباكِ

فـأنَّـتْ أحشــائي.

قُـمتُ لأفتــحَ لحبيـبي فتقَطَّـرَ مِنْ يَـدِيَ

العِطـرُ علــى الأقـفـالْ.

حيـنَ فَتَحْـتُ الـبابَ تحـوَّلَ عنــي

ومضــى.

خرَجَــتْ نفســـي إثــرَ حبيبــي.

صِحْـتُ علــيهِ .. فما كـلّمَنــي " *

....

---

* نشـــيد الأنشـــــاد. الأصحـــــاح الخـــامس.

عينـاهُ تجـوبانِ زوايـا الغرفةِ والجـدرانْ
يتـوقّفُ عِنـدَ تصـاويرٍ مسـحَتْ أيـدي السـنواتِ
ملامحَهـا
إلاّ مِن وجـهٍ تغمُـرُهُ الطـيبـةُ
كـانَ ملاذاً يأويـهِ إذا أتـعَبَـهُ التـرحالُ
ونجـماً يهـديهِ إذا ضـيَّعهُ البحــرُ... وكــانْ ..

... .

مرتعشـاً ، محمـوماً ..
يترنَّـحُ في مشــيتهِ نحــوَ سـريرٍ غادرَهُ الـدفءُ
فينهــارُ عليـهِ ويبكــي ..
يبكــي .. يبكــي
حتــى يغلــبُهُ النــومْ..
فتحــملهُ آلــهةُ الفجــر
إلى أرضِ الأحـلام :
لسـواحلَ يغمُـرُها الضـوءُ السـاطعُ
وأُسـودٍ يـافعـةٍ تتقلبُ في كســلٍ
فـوقَ ســهولٍ لا حـدَّ لهـا
تســبحَ في مملكــةِ الخُـضرةِ
يســتـلقي عُـرياناً في الـرملِ الســاخنِ

والبحــرُ السـاجي يبســطُ زُرقَتَـهُ

ويصـيخُ الســمعَ

فيُسـكِرُهُ هـذا الصـمتُ

ويُرجِـعُه نشـوانـاً .. لطفـولتِهِ

يمـنَحُـهُ الـدِفءَ ويمســحُ دمعَـتَهُ

ويواســيهِ ....

يغسِــلُ صــدأ الأيـامْ

ينهــمرُ الضــوءُ من الشــباكِ

كشــلاّلٍ مِن بِـلَّـوْرٍ

يسـقطُ فـوقَ العينـينِ ويـوقِظُـهُ :

يجلــسُ منتصِـباً

يســتذكرُ رؤيـاهُ فتـزحَفُ فـوقَ الشـفَتَيـْنِ

ظِـلالُ البســمَةِ في وجــلٍ

....

يخـرجُ للشـمسِ

فيدهِشــهُ أنَّ وروداً حمــراءَ

تَـراقَصُ في شـرفات حديـقتهِ

يتســاءلُ عمـَّنْ يـرعاها

فتُجـاوِبُـهُ ضحكـاتٌ صــغارٍ

يقتحمــونَ المـركبَ في صخَبٍ

ويغـنّون أناشـــيدَ البحــرِ الأبديــّةَ

يســتوقفهُ وجـهُ صبـيٍ ليسَ كباقـي الصِبْـيَةِ

مقـداماً يمســـكُ بالصـاري ويغنـي :

" هيـلا .. هيـلا..

شـُدوا أيديكـُم..

هيلا ..هيلا.

لــن يهـوي المـركبْ

هيلا .. هيلا ..

في البحــر الغـاضبْ "

....

يتأمـّلهمْ ، يضحــكُ ملء القـلبِ وينســى

شـيخـوختـَهُ

يتـقـدَّمُ

يمســكُ أيديـهمْ

ويعلـمهُمْ ..

أولَ درسٍ في الإبحـارْ :

- لا تهجــُر جـزَعاً مركـبةً لم تغـرقْ بـعدُ

ولا ترمِ إلى الأسـماكِ قلائـدكَ المسـحـورةَ

لا تهـرب !

قد يتحطــمُ صـدرُ البحّـارِ ولكــنْ

لـنْ يهـزمَهُ ..

لا..

لن يهزمه ..

مـوجٌ أو إعصـــارْ ! *

الحصـــان

منتَحِـلاً وجـهَ حصـانٍ واجمٍ عجوزْ

يرتقبُ الإطلاقةَ / الخلاصْ

سأرتمي في مقعـدي ..

أُقـلِّبُ الجـرائدَ العِجـافْ

منتظـراً – في مللٍ –

أن أسـمعَ النداءَ كي أُسـدّدَ الفاتورةَ الأخيرة

عن كلِّ ما أعارنـي – واسـتلبَ الإلـهْ !

....

عمّـا قلـيلٍ تُفـتَح الأبواب

لـن أسـألَ الحراس / لا يقلقني المصيرْ

أريـدُ أن أُريـحَ هـذا القلـبَ من إسـارهِ المقـيمْ

أُريدُ أن أنـامَ دونَ خـوفْ

أوّاهْ .. !

كـمْ أتعبنـي المسـيرْ !

الجلـوس على خليج الذاكرة

آهِ صديقي ..

شـاطِرني كأسَ الخيبةِ

وتعالَ لنجلسَ للنـارِ المقرورةِ

ننتظرُ الليلَ القادمَ من خلفِ أقاليمَ مشـرَّدةٍ

مهراً غجرياً مذبـوحاً

أو سـاحرةً ترمي بعباءتها الزرقاء

على الجسـدِ المحمومِ المسـتسـلمِ للجـنِّ ..

وللديـدانْ

الليلُ الداجنُ يسـتُرُ عُريَـكَ

فاكشِـفْ دونَ حيـاءٍ

جرحكَ هذا النـازفَ مُـذْ كـنتَ ، فكـانْ

واجمع في كفيكَ الذاهـلتينِ بقـايا

من خمرِ براءتكَ المسـفوحِ

على عتباتِ بلوغِكَ سـنَّ التسـليمِ بعجـزكَ

عن فكِّ طلاسـمِ هذي الألواحْ !

وتَيَمَّمْ ثانيـةً هذا الحـمأ الأبديَّ المسـنونْ

ثم انصبْ وجهَكَ للريحِ الوحشـيةِ

ولتجهشْ بالأحلامْ.

النهرُ الرابعُ قد شـاخَ

وسـيقَ الثالثُ للبحرِ الآجن

....

النهرُ الأولُ لا أتذكرُهُ

والثاني ... صارَ هبــاءْ

احتفال

في شــهرِ اللـذاتِ المحتــرقة

أنحـــرُ شــاةً ســـوداءَ

ســأسرقُـها من معبــدٍ مـردوخَ

وأشــويها للشــحّاذين

على نـارٍ

من خشـــبِ الأضـلاعْ ....

وســأشــربُ خـمرَ الخـيبةِ طـافحـةً

وأعــبُّ كـؤوسَ العـارِ دِهـاقاً

صـافيةً ..

مثـلَ طقـوسِ المـوتِ

لـدى فرســانِ الســاموراي

وســأُطـعِمُ لحــمي لكــلابِ البَــرِّ

وأخـرجُ في الـريحِ الهـوجاء

وأصــرخُ :

يا مـرحى..بغـرابِ الأبـديَّةِ

مـرحى..بالطــوفان !   *

أُغنيـــةُ التــمّ

في يــومٍ مـا ..

حينَ تُقيـمُ الحـرائقُ مهرجــانَها الكبيــرْ

سـأُحَـلّـقُ في الأعـالـي

وأُمتــِّعُ قلـبـيَ الهَـرمْ

بالســنا البهيــجِ الـذي تُـقْــتُ اليـهِ طويــلاً

....

وحيـنَ تنتهـي الأعيـاد

ويـزحفُ العُشــبُ مِنْ جـديـد

إلى السـهــولِ الفسيحة

سـأُرخـي أجنـحَتـي المـُتْعَبــة

وأسـكــبُ دمعتـين

دمعــةً منْ أســى

وأخرى للرحــيل

وأرقـدُ علـى الأرضِ التــي...

طـهَّـرَتْهــا الحـرائـقْ ..!   *

أُغنية العـام الجديد

هـوذا أخيراً ....عامٌ جـديدْ

غير أنّ الأيام لمّـا تزل ..رابضـةً في سـجنهـا

ذي القضبـان الأربعة والعشـرين.

لا تنظر للسـماءْ !

فالأرباب نائمـة...والنواقـيسُ قد صدئت !

و "سـانتا كـروز " العجوزْ

يجـوب الشـوارعَ المقفـرةْ

في بـزّةِ جنرالٍ

يدوسُ صـدورَ الصـغار

ويسـحقُ بحذائهِ الحديدي

الجماجـمَ الطرية !

....

على النـاس المسّـرةْ

على الأرضِ السـلام !

هلّلا لـويا ..لويا .. هللا لويا

لكـرنفال الدم البهيـجْ   !!   *

أوراق

أيتها الصفحـةُ الفارغـة

أيتها الصفحـةُ الفارغـة

لـمَ لمْ تعودي فارغـة !؟

أحَـقٌ أنك لا تفهمين ؟

أم إن كلماتنا البلهـاءَ

تســللت في صـدفةٍ عمياء

وأفترشــتْ ثـقباً منســياً

في هـذا الضياع الشــاسـع ؟

....

....

وأنتِ أيضاً

أيتها الصفحة المُرائـية

يا داعرةً صغيرة

ألـذّة والقـلـمُ الذي

أفـترسَ ظلـهُ المتمرد

يَهـرقُ حبرَهُ المهزوم

فـوق أديمـكِ المفـتض ؟

ألا فلتـندبي مجدكِ الذي هوى

حين ودَّعـْتِ الـى الأبد

في هـذه السـاعةِ المثخـنةِ بالنهـايات

سـذاجتكِ العـذراء

وبيـاضكِ الثـمِل !

رؤيـــا

كـأنّ أقدامي تنأى عنّي

لتسـيرَ نحو القلعةِ الجبليةِ الزرقاءْ

على وسـادةٍ من هــواءٍ

ينـدى بالتساؤلات

كـأني أراكـم

يا رِفقـةَ القافــلة المُتعَبيـن

طيـوفاً مغبـَرّة

تجـئُ وتمضـي

مثل حُـزَمٍ من ضـياءٍ فـانْ

دعـوني إذن

ألمســكم واحـداً واحــداً

لأتيقـّنَ من موتـي ......

... .

كـأن أبـي يفترش أحضـاني

طفلاً يلثـغُ بأُغنيـاتٍ منسـيّـةٍ

كـأن أمســي يعدو أمـامي

عـلى فـرسٍ خرســاءْ

كـأني أُنصـتُ لصـدى سـعالي

القـادم من حُجُـراتٍ قَصـيّة

كـأن الشــمسَ ترمينـي

بنصـالٍ من جلـيدٍ

تذوبُ في طـريقها

إلى ظـلي الشــاحب

كـأن الإلـه الـذي نســني طـويلا

يعـودُني

معتـذراً بضـعفِ الذاكـرة !

كـأني أُغادرُ فيـزياءَ الجسـدِ الصـارمة

كـأني أعـودُ ...

الـى الحــياة ...!!

يــومَـها

يـومَهـا ... نعــم ..يـومـها

كـُنتُ ... قـابَ قـوسَـينِ ، أو أدنــى ..

لكـنني سـقَطـتُ ....هنـاك ..

قريـباً من البـوّابـةِ المُشــرَعَةْ.

ونهَـضْـتُ .. وسـقَطـتُ مِن جَـديـد

نهـضـتُ / سـقطتّ / نهـضتُ / سـقطتُ ..

سـقطتّ ....سـقـطـتّ

...　　　　...　　　　...

أيـها المسـافر الغريـب

حيـنَ تمـر مِنْ هـناك ..

إرمِ وردةً بيضـاءَ

علـى كـومةِ الحجـارةِ الصغيـرة

هنـاك ..

قريـباً من البـوّابة ...

قـابَ قوسـينِ ، أو أدنـى !

آدم

هـا أنا ذا مغلـولَ الأيـدي

إذْ تمـرُّ الأيـام عجـالا

مثـل بـرقٍ خـاطفْ

غـيرَ أنـي

يـا ضـلعيَ المنحنـي .. يـا كـلَّ أضلعـي !

ينتـابني الوجـوم

من يقيـني بأننـي حيـنَ اطـرَدُ دون ريـبْ

سـأتحسـرُ كثـيراً

مفتقـداً اللـّذات التـي

لـم أقتطـفها معـكِ بعـد !   *

المســافر

إلى ثامر عبد علـي

"قرطبة..

نائيةٌ ووحيدة

مهرةٌ سـوداء ، وزيتوناتٌ في جيب خُرجي

رغم أني أعرف الدروب ..

فلـن أصلَ الـى قرطبـة ..

لــوركـا.

جبهتُـكَ الـواجمة

وشــعرك الأجـعد

أيهـا الزنجـي الجمـيل

ضحـكتكَ التي تفيض بالـدموع

وقامتـكَ الطويلة المحنيـة

رائحـة الخمـر والدخـان

غضبكَ المفـاجئ المجـنون

وحكـايات الرعـونات اللـذيذة

الغنـاء الثمِـل ، في ليالي الخريف

على سـكك القطـارات المهجـورة

وكـلبكَ الحميـم العجـوز ..

آه .. يـا صـديقي ..

ســتذهبُ الـريح بكـلّ هـذا

فمحـتّـم عليكَ أن تمـوت

لكـي يفتقـدَ الهـواء

والقمـر الهـائم

والســكك المهجـورة

قـامتك الســنديانـية .. ورئتـيكَ الجـريحتين

لأنكَ منحـوتٌ من خمـرٍ .. وقهـرٍ .. وطـين

لأنكَ طـفلٌ مُشــاع

لأن حكـمتك المجـنونة

تغـافلُ الأبـوابَ والســقوفَ والجـماجم

لأنـكَ ســهلٌ جـداً

ســينسـاكَ رفـاقكَ العقـلاء

وتذكـرك أشــجارُ التـوت العـارية

والنهـرُ ، والغيـومُ ، والكـلابُ الحميمة

ومنـاضدُ الحـانات ..

هوررا .. للقتيـل المنتصـر !

هوررا .. لثامـرِ المُـراقِ على عتبات البيـوت !

هوررا .. للمســافر المختبـئ في الهـواءْ !

مـوسـيقى

مـوسـيقى .. مـوسـيقى .. مـوسـيقى

فلتهـدر في الظـلِّ المـوسـيقى أبـدا ..

مـوسـيقى لهـذا القلـبِ الذي يُعتَصَـرُ

مـثلَ ليمـونةٍ مخـذولة :-

أســمِعوني نشـيداً منفـرداً

لكـمانٍ يحتضـنهُ عـازفٌ أعمـى ..

يتشــردُ في الحـاناتِ والمقـاهي المُـتعَـبة

مـوسـيقى .. مـوسـيقى ..

مـوسـيقى لأظـافري التـي تُقـتَلع :-

أســمِعوني طـبولَ مواكب الســبايا

تُسـاقُ غـرباً في الفيـافي

في بـريدِ الخليـفةِ الـزاهـدْ !

....

مـوسـيقى .. مـوسـيقى ..

مـوسـيقى لرحـيلِ الشـاعر ..

أسـمِعوني رقصـاتٍ دمـويةٍ ..

لقبـائلَ وثنيّـةٍ ..

تضـجُّ بالفجـيعةِ المطـبِقة

مـوسـيقى .. مـوسـيقى ..

مـوسـيقى للسـانيَ المبتـور :-

أسـمِعوني عـويلَ جـوقٍ من ذئـابٍ حـزينةٍ

أنهكـها الجـوعُ والبرد

....

مـوسـيقى لقبـرِ أُمّـي ..

فلتـتـفجـرْ قطـراتُ المطـرِ الذبيحـةُ

فـوق شـبّاكيَ المُعـتِمْ

....

مـوسـيقى ..

مـوسـيقى لانتفاضتي القـادمة :

أصـواتُ فؤوسٍ تهـوي ..

على جثّـةِ العـدمِ الحديـدية !

أحـلام

يـومٌ مشــرق .

حمـداً للــه !

فلأنشــرْ إذنْ على ســياجِ داري الخـربةْ

أحـلاميَ العتيقـةَ التـي ..

أدركـتْها العفـونةْ !

فقـريباً ســيأتي

شــرطيُّ البلـديةِ الصـارمْ

مـاذا ؟

هـو اليـومَ في إجـازة ؟

حمـداً كـثيراً للـرب !

سـأبقيها إذنْ فـي الشــمس ..

حتـى الظـهيرة !!

هـل تذكـرين

هـلْ تذكـرين ؟

حيـنَ كـنا معـاً

فـي آخـرِ يـومٍ

من أيـامِ الســنةِ القـادمة !

قـلتِ : قبِّـلنـي

غـيرَ أنـي

كـنتُ منشـغلاً .. بتقبيـلك !

ولمـا رأيتكِ تبكـين

عـزمتُ أن أعـدَّ القبـلات

لأذكـِّركِ بهـا

حيـنَ تأتـي السـنةُ الماضـية ! :

واحدةٌ .. إثنتان .. واحدةٌ .. إثنتان .. واحدةٌ .. واحدةٌ

.. واحدةْ !

ثـمَّ أدركـني التعـب

فقـررتُ أن أرتـاحَ ..

بقـبلةٍ أولـى ..!!

في الربيع القادمِ ..سآتيك

أسـرجي لي يا فتاتي

حصـانيَ الأدهـم الكـريمْ

راحـِلٌ أنا في الصـباحْ ...

أُتركـي الحقيبةَ في الزاويـةْ

ولا تملئـي قربـةَ المـاءْ

فلـنْ تلزمـاني هنـاكْ ،

في البلادِ التـي

سـأُسـاقُ اليها ... وراءَ الغَمـامْ

....

واتركي الشبّاكَ مفتـوحاً ..

في الربيع القـادمِ سـآتيك :

عيـنايَ صـافيتانْ

وقـامتي منتصـبةْ

وعلى صـدري ... زنبقةٌ حمـراءْ

غـير أنـّي ، سأزدادُ شـحوباً

لـن تقلـق خطـايَ سـكونَ الفجـرْ

سأدخلَ بيتَ أبيـك

أتسـلل مع النسـمة

وأجلـس عند سـريرك

وأنصـت لأنفاسـكِ العَـذارى

وأنتِ تحلمـينَ بلقـائي

وأنهضُ ، ألثـمُ شـفاهكِ الـدافئات

وأرحـلُ من جـديدْ

حتـى ربيـعٍ قـادم ...

ثورة الهـم

تطـامى الهم وازدحمتْ كروبُ

وماجَ الخوفُ وارتفعَ الوجيبُ

وكلكلَ في الصدور جوىً حريق

تصدَّعُ فـرطَ حـرَّتِهِ القـلوبُ

وأسـلمتِ النفوسُ فلا حَـراكٌ

وأطـبقَ فوقها صمت مريبُ

وجالت في الفضا أشـباحُ يأس

وغربان لهن بهِ شـجيـبُ

ولفَّ الكـونَ والأرواحَ لـيـلٌ

ينوءُ بحملهِ الأفـقُ الرحـيبُ

تكـادُ العين تنكــرُ مقـلتيها

وينكـرُ خدنَهُ الخـدنُ الحبيبُ

لهـذا اليوم تـدّخرُ المـراثي

لنا، وتشـقُّ –من هلع – جيوبُ

****

ألا من مبلـغ عـنّي مقـالاً

خطـيراً سـاقهُ حادٍ أريـبُ

بعـيدُ الرأيِ ، قـوّالٌ، جرئٌ

إذا ما هـيجَ عـبّاسٌ غَضوبُ

يزجّي النصحَ صَدق لا يداجي

كـما يتلوّنُ الملـق الكَذوبُ

بأن الخطبَ صعب ذو مراس

إذا ما استسـهلتْ يوماً خطوبُ

وإن الأمر جَـد حـينَ تلهـو

وقد جثمت على أرض شَعوبُ

****

ودجـّالينَ ما تركـوا مـريباً

- كما زعموا- الى مالا يريبُ

يســُرُّكَ قيلهـُم حـتى إذا ما

تعـالى النقعُ ، جدّ لهم هروبُ

يســوقونَ الأماني كـاذباتٍ

كـأطوال يقـادُ بها الجـنيبُ

تراهم في لحىً مســترسلاتٍ

يضـيعُ بهنّ تضميخ وطـيبُ

وبين ضـلوعهم قـلب وبيءٌ

تجـاذبـهُ المآثـمُ والذنـوبُ

شــياه فـرقـتْ في كلّ وادٍ

تولى أمـرَها ضـبع وذيـبُ

عبيد للخـنا أحـنوا ظـهوراً

لوقع ســياطـه فيهـا دبيبُ

أجـدكَ أن يكون لهم صلاح ؟

إذا طـالَ البَلا أعيا الطـبيبُ

****

بنـي أمّـي وربَّ دم مـراق

تَنـَزَّفَـهُ فتىً حـر صـليبُ

يسـيلُ علىالثرى من ألفِ حولٍ

ويصرخُ:من مغيثٌ من مجيبُ ؟

بـني أمي وأُقسـمُ بالثكـالى

وقد شـقَّ السـما هذا النحيبُ

بكـلِّ أبيـّةٍ بيعـتْ ببخـس

لـوغـدٍ أُثقِـلتْ منـهُ الجـيوبُ

وفتيانٍ كـزهر الروضِ لطـفاً

وقد سحقتْ عظـامهم الحروبُ:

ليَـنـبثِـقَــنَّ بحـرٌ من نجـيع

ويطـوي الأُفقَ إعصارٌ رهيبُ

وينهـتكَ الحجابُ فذاكَ قَـَزْمٌ

وذاكَ سَــمَيْدَعٌ قَـرْمٌ مَهـيبُ

****

بني أمي ولاتَ زمـانَ لهـو

إذا ولى الصـبا ودنا المشـيبُ

فإن وراءكـــم يمّـاً لجـيـبـاً

وليـسَ أمامكـم إلا اللهـــيبُ

فخوضوا النارَ واقتحموا المنايا

فقد تنبو السـيوفُ وقد تصيبُ

وغذّوا السـير واغتنموا الليالي

فقد يتخـرَّق الثـوبُ القشـيب

وقد يتنكـرُ الزمنُ المصـافي

وقد يتكـسّر الغصنُ الرطيبُ

وما يصفو الشرابُ بكل كأس

وأمُّ الدهـر مغـناجٌ لعـوبُ

وها دنَتِ القطـوفُ لمُجتنيها

وها وضحتْ لسالكها الدروبُ

رثــاء

كـثرتْ همومُك فاعتصمْ بالكـاسِ

وذرِ الدمـوعَ فما بها من آسِ

واصرمْ حبالَ العيشِ وامضِ ولا تقلْ

"مافي وقوفكَ ساعـةً من باسِ"

واشــربْ أفاويقَ الشــبيبةِ قبل أنْ

يغزو نهارُ الشــيبِ ليلَ الراسِ

ويكَ اســقِني صرفاً عُقاراً تُنسِني

صرفَ الزمانِ المكفهرِّ القاسـي

يامن ثوى في أضلعي من قبل أن

يغدو الثرى مثواه، لسـتُ بناسـي

بُعـداً لدهـرٍ راعني في فقدكـم

فإذا الخطـوبُ وريبُها جلاّسـي

إن الدمـوعَ تخـونني فأخـونُها

وتهيجـني فأهيجُ برقَ الكاسِ

ويلُـمُّ بي جـزعٌ فيهتفُ هـاتفٌ

ليرنَّ في أذنيّ كـالأجـراسِ

أبشـرْ فإنّك في غـدٍ مترحـلٌ

في إثر من واريتَ في الأرماسِ !

رحـــيل

إرفَعْ شـراعَك رغمَ الموج والصخبِ

وارحلْ، فليسَ كعِتقِ الروحِ مِن إرَبِ

واسخرْ وأنتَ تجوزُ البَـرّ من رممٍ

تخافُ وهي ببطـنِ القبرِ من عطبِ!

إرحلْ وذرهم مُسـوخاً رهنَ أقـبيةٍ

عمياءَ ، هـائمةً ، موهونةَ الرُكـَبِ

إرحلْ وإن كُـنتَ لا تدري لأيِّ غدٍ

يلقيكَ نجمُكَ ، للبُؤسـى أم النَشـَبِ

يكـفيكَ أنَّ وجـوهاً شـاهَ مطلعُهـا

تيبَّســت ، فهي أصـنامٌ من الخشـبِ

وأنَّ ألســِنةً معـقـودةً أبـداً

في الحق ناطـقةً بالمَـينِ والكـذِبِ

وأيـدياً قد غزاها الموتُ شـاحبةً

شـُلَّتْ من اليأس لم تأخـذ ولم تهبِ

ستسـتحيلُ هشـيماً ثم تمسحها

يدُ الـزمان ، كـفعلِ النارِ بالحطبِ !

ملاحـظـات

* الواح انليل : في ميثولوجيا بلاد الرافدين يولد انليل من اتحاد آن (السماء) مع كي (الاهة الأرض.) إنه الإله الأعلى في مجمع الآلهة السومرية ويقع معبده

في مدينة نفّـر. وهو اله الهواء والعواصف وسـيد مصائر البشـر وهو الذي يمنح شـارة الملوكية لمن يختاره من البشـر وهو مانح الخير والشـر الذي أرسـل الطوفان. أما البابليون فقد شـبهوه بإلههم مردوخ الذي يقوم في الأسـطورة البابلية بتحدي تيامات (ربة المياه المالحة وأم الآلهة) في قتال مرير منفرد وينتصر عليها ويقسـم جسـدها الى نصفين.

الربان والبحـر : اسـتلهم الشـاعر الإطار العام للقصيدة من رواية "الشـيخ والبحر" لإيرنسـت همنغوي

أغنية التم : يقال أن هذا الطائر الجميل (الذي اسـتلهم تشـايكوفسـكي من اسـطورته الباليه المعروفة خطأً ببحيرة البجع) يقوم بإنشـاد آخر أغنية له عندما يحس بدنو موته.

أغنية العام الجديد : "هللا لويا" كلمة تعني سـبحوا الله وترد كثيراً في الصلوات والأناشـيد الكنسـية.

الساموراي : طبقة المحاربين النبلاء في اليابان

وهم معروفون بطقوسهم الخاصة في القتال

والحياة ومواجهة الموت.

بوحيٍ من مذكرات آدم وحواء لمارك توين

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء الإيداع)

رقم الإيداع القانوني في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٤٢) لسنة ٢٠٠٠

موافقة وزارة الإعلام بالرقم (٧٨٤) في ٢٠٠٠/٩/٢٥